

السنة الثامنة (رمضان سنة ١٣٦١ - أكتوبر سنة ١٩٤٢م) العدد الثاني

صحيفة دار العلوم

نصرها جماعة دار العلوم
كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

محمد نجيب حياطة

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادي دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلي

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعي بيومي

المدرس بدار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوي

٢٠ قرشاً

٣٠ قرشاً

٥ قروش

في القطر المصري

خارج القطر

ثمان العدد

مطبعة العلوم شارع الخليلج ١٦٢

إِنْ سَاحًا مَدَّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَغْتَرِفَ مِنْ مَمُونُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَالنَّحْوُ الْجَدِيدُ فِي كِتَابِ
وَنَحْوِ فِي دَارِ الْعُلُومِ

الاستاذ الفاضل الشيخ محمد بن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بمن ذكرهم شمس الدين السخاوى
من قرظوا كتاب أبي التقي البدرى صاحب كتاب (سحر العيون)
البرهان الباعونى وأخواه
وبعض المشهورين من أسرة الباعونى
لمحاضرة الأستاذ الجليل أحمد يوسف نجاني

كنت قد شرعت أكتب فى الأدب المصرى فى عصر المماليك وبدأت فى ذلك بالكلام على كتاب (سحر العيون) والتعريف بمؤلفه لمناسبة ذكرتها فى المقالة الأولى من مقالات ثلاث نشرت فى مجلة الرسالة الغراء، ثم حالت أزمة الورق والتجاء المجلات والجرائد إلى تقليل عدد صفحاتها دون الاستمرار فى هذا الموضوع القيم، والآن قد تقدمت إلينا مجلتنا المحبوبة (صحيفة دار العلوم) أن نمدّها ببعض المقالات الأدبية النافعة، فرأيت أن أصل ما انقطع وأن أبدأ أولاً بتممة الكلام فى التعليق على ترجمة تقي الدين البدرى المنقولة من كتاب (الضوء اللامع) لشمس الدين السخاوى فإن بها أشياء كثيرة تحتاج إلى الشرح والبيان، وقد أسلفت منها فى ثلاث المقالات القول فى التعريف ببني الشحنة الذين كان ينتمى إليهم صاحبنا البدرى. وأفتتح مقالاتى الآتية بترجمة البرهان الباعونى وأخويه والتعريف ببعض الأدياب من أسرة الباعونى فأقول: بنو الباعونى أسرة شامية عرفت بالعلم

والدين والأدب في القرن التاسع الهجري خاصة وهم ينسبون إلى (باعونة) قرية صغيرة من قرى حوران بالقرب من (عجلون) كانت من أعمال (صفد) (مدينة في جبل عاملة المطلة على حصص بالشام وهي من جبال لبنان) وإلى صفد ينسب المؤرخ الأديب الشاعر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المشهور توفي سنة ٧١٤ هـ - وقال المقرئ: وسميت القرية (باعونة) لأنه كان في موضعها دير للنصارى يسمى راهبه (باعونة) فلما أزيل الدير وأنشئت القرية مكانه عرفت باسمه (أخياء) لذكره أو شماتة به .

(١) وكان جد هذه الأسرة - وهو ناصر بن خليفة بن فرج بن عبد الله ابن يحيى بن عبد الرحمن حائكا بهذه القرية وتاجرا في البن يتنقل به في البلاد ويضرب في الأرض بيتغى من فضل الله ، فكسب ثروة كافية ثم انتقل إلى (الناصرية) من أعمال صفد أيضا ولهذا قد ينسب إليها بنوه وأحفاده - فمن أولاده

(٢) شرف الدين موسى بن ناصر الفقيه المقرئ المحدث توفي في شهر

رمضان سنة ٧٩٤

(٣) أخوه عماد الدين بن اسماعيل بن ناصر ، وكان في زمانه شيخ الناصرية على طريقة الفقهاء والصوفية ؛ وولى قضاء بلدة (الناصرية) حينها ، وكانت له تجارة رابحة وثروة وجاه ومكانة ، وتوفي أواخر سنة ٨٠٩ عن نحو ٧٠ سنة .

(٤) وأخوه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ناصر الباعوني الناصري

الشافعي نزيل دمشق ، ولد بالناصرية سنة ٧٥٢ ونشأ بها وتلقى العلم والأدب عن أخيه اسمعيل وغيره من أئمة الشام بصفد ودمشق وسواهما وأقام بمدينة

صفد إلى ما بعد سنة ٧٩٠ إذ ثار عليه أهلها واتهموه بآثامه مدح (منطاش) (١)
 خصم السلطان وعض من الملك (برقوق) يخرج منها خانقا يتربص به وولى
 وجهه شطر مدينة القاهرة ماجا الخائف وملاذ المكروب فوصله بعض
 فضلائها بسلاطنتها العظيم (برقوق) وأحسن فيه القول، فأذن السلطان منزله
 أو أكرم وفادته وولاه خطابة جامع بنى أمية بدمشق سنة ٧٩٢ فسار سيرة
 مرضية في سلوك الحق وعدم المحاباة.

ولكنه لم يخل من حاسد يكيد له ويتربص به الدوائر حتى اتفق أن
 طلب السلطان برقوق أن يقترض مالا من وقف كان لأيتام بمدينة دمشق
 فأبى القاضي أحمد الباعوني ذلك، ووجد أعداؤه فيه حينئذ فرصة اتهموها
 (ومن هؤلاء جلال الدين بن خطيب داريا) محمد بن أحمد بن سليمان بن
 يعقوب الأديب الشاعر توفى سنة ٨١٠ - وكان قد قال فيه لما ولى القضاء
 بدمشق:

قضاء دمشق قد نادى حماقي لم يراعوني
 رميت بكل مضقعة وبعد الكل (باعوني)

فعزل من القضاء سنة ٧٩٦ وسجن ثم أطلق فلزم داره، ولم يزل كذلك
 حتى قام بأمر مصر والشام بعد السلطان الظاهر برقوق ولده الملك الناصر
 (فرج بن برقوق) سنة ٨٠١ فولاه الخطابة بالمسجد الأقصى سنة ٨٠٢ ثم

(١) منطاش الأشرفي كان السلطان الظاهر برقوق قد ولاه نيابة المملكة بمطية
 سنة ٧٨٨ فشق غضا الطاعة وثار في البلاد بمن انضم إليه من شردم الملك برقوق لما ولى
 الأمر فعثوا في الأرض فسادا، وبعد حوادث ووقائع طويلة بينه وبين الملك برقوق
 قبض عليه فاعتقل بقلعة حلب وقتل بها سنة ٧٩٥ هـ وكان رجلا شجاعا فاتكاجريتا
 على الهمة كثير العطايا نهابا وهابا كما كان أهوج طائشا - وبعد قتله جيء برأسه
 إلى مدينة القاهرة فطيف به في أرجائها ثم علق على باب زويلة حينئذ.

أضيف إليه ثمانية قضاء دمشق سنة ٨١٢ فسار فيه بعفة ونزاهة ، ثم عزل عنه واقتصر على خطابة بيت المقدس ثم عاد إلى مدينة دمشق حتى أدر كتمه . نيتته بها في شهر المحرم من سنة ٨١٦ وكان إماماً فاضلاً ذا دين متمين وخلق عظيم من أعظم أنصار الحق وأعوانه أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر عفاً نزيهاً كثير الفوائد ألقى الدروس القيمة بمدارس كثيرة ، وكان حسن الهيئة جميل البزة ذكياً فطناً أديباً شاعراً مجيداً وكاتباً قديراً وخطيباً ، صقعا بليغ القول عذب الحديث حلوا المنطق لطيف المحاضرة حسن المذاكرة قادراً على سرعة النظم وارتجال الخطاب .

غير أن السخاوى نقل عن المقرئى أنه كان عريض الدعوى شديد الإعجاب بنفسه (فإن صح هذا فإنه عندى يغطى سائر محاسنه ويعفى على كل فضائله ، وإن كان بعض الناس يرنى غير ذلك فيقول معتذراً لمن يعجب بنفسه وماذا على الإنسان فى مدح نفسه إذا لم يكن فى قوله بكذب وما زالت الأشراف تهجى وتمدح ، وقد أتى على القاضى الباعونى ابن قاضى شبة (١) فى كتابه (طبقات الشافعية) ومن شعره :

ولم أرأت شيب راسى بكت . وقالت عسى غير هذا عسى
فقلت البياض لباس السرور . وإن السواد لباس الأئسى
فقلت صدقت ولكنة . قليل النفاق بسوق النساء
وله أيضاً :

(١) هو القاضى تقى الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر المعروف بابن قاضى شبة (بلدة من أعمال حوران) توفى بدمشق سنة ٨٥١ وكتابه (طبقات الشافعية) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم ١٥٦٨ ، وأخرى رقم ٩٠ م بخط أبى الفضل محمد بن محمد بهادر المؤمنى الطرابلسى الشافعى نزىل القاهرة . تلخذاً للجلال المحلى فرغ من كتابتها سنة ٨٥٩ ونقلها من نسخة تاريخها سنة ٨٤٨ .

سلم إلى الله ما قضاه لا بد أن ينفذ القضاء
 سيجعل الله بعد عسر يسرا به يذهب العناء
 يدبر الأمر جل ربي (ويفعل الله ما يشاء)
 وله تخميس للبردة اوله :

يا باغيا كتم امر غير منكم اني وطرفك صافي الدمع لم ينم
 وهو ضمن مجموعة كلها تخميس للبردة لشعراء كثيرين تجدها مخطوطة
 بدار الكتب المصرية .

هذا وقد رايت في فهرس دار الكتب صفحة ١٢٠ من الجزء الثالث
 ما ياتي : (ديوان الباعوني) وهو قاضي القضاة شهاب الدين ابو العباس
 احمد الباعوني الشافعي الدمشقي مكتوب على اوائل بعض قصائده ورسائله
 ما يفيد انه كان موجودا سنة ٨٦٧ هـ وقد نديه السلطان الملك الظاهر جقمق
 لتوليته قضاء الشافعية بالشام المحروسة فلم يلتفت لذلك ورعا منه (جمعه ولده
 برهان الدين أبو إسحق إبراهيم وهو يشتمل على فنون كثيرة من ابواب
 الأدب في التضمنين والمدح والغزل والنسيب وشكوى الحال والرثاء ومخاطبة
 الملوك والأمراء والقضاة والعلماء وفي الرسائل بداهة بتضمنين (بانة سعاد)
 لكعب بن زهير بن ابي سلمى المزني وسماه (ذخر المعاد في تضمنين بانة سعاد)
 ثم تضمنين (ملحة الاعراب) في النحو لابن محمد القائم بن علي الحزيري
 المصري وسماه (زهة الاحباب في تضمنين ملحة الاعراب) ثم تضمنين
 الالفية لابن مالك سماه (المنحة في تضمنين الالفية والملحة) وغير ذلك ،
 ويغلب على الظن انه بخط جامعه كما يفهم من نبذة على ظهر الورقة الاولى
 منه) اه .

والذي اراه ان هذا الديوان إنما هو ديوان ابنه جامعه وكاتبه وهو
 برهان الدين إبراهيم بن احمد الباعوني نفسه لا ديوان ابيه قال البرهان الباعوني

هو الذى كان موجودا سنة ٨٦٧ (اما والده فقد تقدم انه ولد ٧٥٢ وتوفى سنة ٨١٦) والبرهان هو الذى عاصر الملك الظاهر جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧) وهو الذى تدب لتوليته القضاء فائى ، ولكن كان ذلك سنة ٨٢٣ فى مدة الملك المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودى الذى ولى الامر بعد الناصر فرج بن برقوق (٨١٥ - ٨٢٤) والملك المؤيد هذا هو المدفون بقبته التى انشأها بالجامع المؤيدى بباب زويلة) وكانت سن البرهان الباعونى عند اول تولية الملك الظاهر ابى سعيد جقمق نحو ٦٥ سنة وقد ادرك عصر من بعد جقمق كما سيأتى) . وكان البرهان فى سنة ٨٢٣ (بعد وفاة ابيه بسبع سنوات) خطيبا بجامع بنى امية بدمشق . قال شمس الدين السخاوى فى ترجمته : وجهن اليه التوقيع بالقضاء حين استقرار الكمال بن البارزى (١) فى كتابة الديار المصرية سنة ٨٢٣ فامتنع وصمم وراجعه النائب وغيره من اعيان الامراء والرؤساء وغيرهم فاذعن وتكرر خطبه لذلك مرة بعد اخرى وهو يأتى الى ان قيل له فعين لنا من يصلح فعين اخاه) ا

٤ - البرهان الباعونى : (وهو الذى قرظ كتاب البدرى) هو برهان الدين إبراهيم بن شهاب الدين احمد بن ناصر بن خليفة الباعونى الناصرى . ولد فى شهر رمضان سنة ٧٧٧ بمدينة صفد ونشأ بها ثم انتقل منها مرأها

(١) الكمال بن البارزى هو محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم ابن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان ، ينسبى نسبه الى الصحابى الجليل (عبد الله بن أنيس الانصارى) ولد سنة ٧٩٦ بمدينة حماة ونشأ بها فى كنف ابيه ثم انتقلا الى القاهرة سنة ٨١٥ مع الملك المؤيد ، وولى كتابة السر بالقاهرة ، ولم يزل يتردد فى الاعمال العظيمة بمصر والشام حتى توفى سنة ٨٥٦ وكان رئيسا كريما حسن السياسة جميل الخلق والخلق لطيف الشائل اديبا كاتباً بارعا قدرا فى الإنشاء والترسل .

مع ابيه إلى الشام ، وتلقى العلم عن والده وغيره من علماء صفة ودمشق وسواهما ودخل مصر سنة ٨٠٤ فتردد بها إلى غير واحد من فضلائها وأئمة العلم والأدب فيها ثم عاد إلى بلده فأقام بها على أحسن حال واجمل طريقة وصار شيخ الأدب بالبلاذشامية بدون منازع، وولى خطابة الجامع الأموى بدمشق والخطابة بيت المقدس وقد غير ذلك من الوظائف الدينية والعلمية وأبى وجهه ان يبلى القضاء بعد ان ألح عليه اولو الامر في ذلك، وحمدت سيرته في كل ما ولىه من الاعمال إذ كان يؤثر الحق ويصمم عليه ولا تاخذه فيه لومة لائم، ولا يقيم وزنا لما كان يصل إليه من رسائل الكبراء في الشفاعات ونحوها، وأبى فضلاء زمانه على فضائله وجميل خصاله، وكان بارعا في النظم والنثر وله اليد الطولى فيها

قال، السخاوى : وقد لقيته بدمشق وسمعت من نظمه ونثره ما لا أحصيه وكان يحكى ابر الزين، عبد الباسط (١) قال له إن مراسلاتك المسجعة إلينا تبلغ أربع مجلدات فكيف بغيرها) وكان جميل الهيئة منور الشببة طولا مهبيا ذا فصاحة وطلاقة وحسمة ورياسة ومكارم وتواضع وتودد وعدم تدنس بما يحيط من مقداره وقد ترجمه بعض المتأخرين بالشيخ الامام العلامة خطيب

(١) هو زين الدين عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقي ثم القاهري ، ولد بدمشق سنة ٧٨٤ ، وولى الاعمال الجليلة بمصر ، وكان فيها من عظام الدولة وأولى المكانة والجاه والثراء الطائل وكان في عصره فردا في رؤساء مصر والشام وملجأ للناس ، كثير الإحسان عظيم البر حتى سار ذكره وانتشر فضله وخيره ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، وهو الذى أنشأ (القيسارية) المعروفة بالباسطية داخل باب زويلة ، وتوفى في شوال سنة ٨٥٤ قبل وفاة البرهان الباعونى بستة عشر عاما ، وإذا كانت رسائله المسجعة اليه قبل وفاته أربع مجلدات ، فكيف بما أنشأه بعد ذلك في ١٦ سنة في أغراض مختلفة

الخطباء شيخ الشيوخ ولسان العرب وترجمان الأدب وبرهان النظر فريد العصر
وإنسان عين الدهر ... الخ) ١ هـ - وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ٨٧٠
بدمشق وجاء الخبر بذلك إلى الديار المصرية فصلى عليه صلاة الغائب بالجامع
الأزهر رحمه الله تعالى .

ومن شعر البرهان الباعوني في التضمين (١) :

أشكو إلى الباري أناسا قد غدت ملائى بأنواع المخازى دورهم
تغلى على صدورهم غيظا كما تغلى على الحجر الكثيف قدورهم
هم يعلنون لدى اللقاء مودتى (والله يعلم ماتكن صدورهم)
ومنه - قالوا الخيما شراب اللانس والبسط جاءت
فقلت ردا عليهم (بنس الشراب وسامت)

(١) يراد بالتضمين هنا ما يسميه البديعيون (الاقتباس) وهو أن يضمن الكلام
شيئا من القرآن أو الحديث الشريف لأعلى أنه منه ، ومنه ما ألميته على طلبة المدرسة
السعيدية يوم أن زارها المغفور له جلالة الملك (أحمد فؤاد) رحمه الله سنة ١٩١٥
وكان الدرس يومئذ في فن البديع في الاقتباس :

حللت القلوب مقيا بها فكانت بجبك حرزا حرزا
فلا زلت ترعاك عين العلا (وينصرك الله نصرا عزيزا)

ولا بأس في الاقتباس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس مراعاة للوزن كما قلت لما
ظهر المذنب في نحو سنة ٩٠٨ وأرجف الناس بأن ظهوره علم للساعة :

وقالوا بدا من جانب الأفق كوكب دها الأرض منه منذ أشرق مادها
سيتركها قاعا ويزهق أهلها ويصدق فيها مالك الملك وعدما
وكم مر في هذا الفضاء كواكب لها ذنب لا يستطيعون عدما
هى الساعة اختص الإله بعلمها ستأتى ولو شاء الإله لمدها
ولكنها تأتي البرية (بعتة) فبهتهم لا يستطيعون ردها (

ومن شعره :

أشد الناس في الدنيا عناء
يجب مكارم الأخلاق مثلي
كريم مجده مجد أتيل
وليس له إلى الدنيا سبيل

ومنه :

إذا استغنى بنو الدنيا بمال
وإن مالوا إلى الإكثار فاقنع
لهم جم فكن بالله أغنى
فإن القنع كنز ليس يفنى

ومنه :

سل الله ربك ما عنده
ولا تطلبن من سواه الغنى
ولا تسأل الناس ما عندهم
وكن عبده لا تكن عبدهم

وقال :

سنت من الدنيا وصحبة أهلها
ووالله ما آسى عليها وإنتى
وأصبحت مرتاحا إلى نقلتى منها
وان رغبت في صحبتي راغب عنها
فازالت الأكدار محفوفة بها
وما زال عنها دائما ذوالنهي ينهى

وقال ابن قاضي شعبة في طبقات الشافعية : أضافنا البرهان الباعون بمنزله
في الصالحية صحبة النجم ابن حجى (٢) وقرأ علينا تضمنه ألفية ابن مالك

(١) هو أبو الفتوح نجم الدين عمر بن حجى بن موسى بن أحمد بن سعد الدمشقي
ولد بدمشق سنة ٧٦٧ وطلب العلم بمدن مصر والشام وولى وظائف القضاء والإفتاء
وغيرهما ، وكان رئيسا جليلا ذا حرمة ومهابة صارما مقداما ذكيا حاد الذهن
فصيحا حسن التصرف مدرسا ماهرا كما كان حاد الخلق سريع البادرة ، قتل وهو
نائم على فراشه في بستانه بدمشق سنة ٨٣٠ - وقد أصر ابنه محمد المتوفى سنة ٨٥٠
الى الكمال ابن البارزى المتقدم وله من ابنة الكمال ولده يحيى بن محمد بن عمر بن حجى
توفى سنة ٨٨٨ بالقاهرة ودفن عند أبيه وجده لأمه بالقرب من ضريح الإمام
الشافعي .

قصيدة امتدح بها النجم بن حجي كما فعل ابن نباتة بالملحة في مدح السبكي فأجاد كل الإجابة على أن بين الالفية والملحة اليون الكثير فتضمن الالفية أشد ولكنه بمن أئين له الكلام) اه وقد تقدم أنه ضمن الملحة أيضا وقال البدرى صاحب (سحر العيون) في كتابه (نزهة الانام في محاسن الشام): وأنشدني شيخنا المرحوم العلامة برهان الدين الباعوني الشافعي في (الأس) الذي هو من محاسن الشام:

وروضة بانها يهتز من طرب شبيه مر تشف من حمرة الكاس
يثنى النسيم على الأمر النضير بها فهو العليل الذي يثنى على (الأسى)
وهنا خطر في نفسي أن من أسباب غض السخاوي من قدير البدرى
ولامه للقاضي عبد البر بن الشحنة (عرفت به في الرسالة الغراء) واتباه
اليه وأنه كثيرا ما يعتد به ويذيع أده في كتبه، قال في (سحر العيون)
أنشدني لنفسه الكريمة المقر السرى عبد البر نجل شيخ الإسلام محب الدين
ابن الشحنة الحلبي المولود سنة ٨٥١

لما رنا بلحظه خلفني حلف الضنى
وحاجباه اتفقا لقتلي واقترنا

وقال في موضع آخر: أنشدني المقر السرى (عبد الرحمن) نجل شيخ الإسلام:

حبيب قلبي قد سما بحسنه بدر السما
عيناه أرواح الوري قد نهبا واققسما

وأنا أرى أنه يريد (عبد البر) وما في الكتاب تحريف فقد توفي (عبد الرحمن) أخو شيخ الإسلام لا يجله سنة ٨٣٠ قبل مولد البدرى، ومن شعر عبد الرحمن هذا:

لا تلوموا النعام إن صب دمعها وتوالت لأجله الأنواء

فالليالي أكثرن فينا الرزايا فبكت رحمة علينا السماء
 هذا وقد جمع البرهان الباعوني لنفسه ديوان خطب من إنشائه وديوان
 شعر من نظمه (وقد عرفت أن ديوان الباعوني المحفوظ بدار المكتب إنما
 هو ديوان البرهان الباعوني لاديوان أبيه) وقال في كشف الظنون (عقود
 الأبيكار من نبات الأفكار) للقاضي برهان الدين إبراهيم بن أحمد الباعوني
 المتوفى سنة ٨٧٠ وهو ديوان أشعاره. وقال السخاوي في ترجمته: وأنشأ
 البرهان الباعوني رسالة عاطلة من النقط من عجائب الوضع في السلاسة
 والانسجام وعدم الحشو والتكلف واختصر الصحاح للجوهري اختصارا
 حسنا وله كتاب (الغيث الهاتن في وصف العذار الفاتن) أتى فيه بمقاطع
 رائقة ومعان فائقة واشتمل على نحو مائة وخمسين مقطوعة أودع كلا منها
 معنى غريبا غير الآخر مع كثرة ما قال الناس في ذلك مما هو دال على سعة
 نظره وحسن فكره) هـ.

٦) أخوه شمس الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن ناصر. ولد بدمشق
 حوالي سنة ٧٨٠ ونشأ بها. وأخذ عن أبيه وغيره من فضلاء الشام، وكان
 إماما عالما أديبا فاضلا، وولى الخطابة بجامع دمشق وغيره وشغف بالأدب
 وأولع بنظم الشعر وأتى فيه بالكثير الحسن، ولقبه شمس الدين السخاوي
 بدمشق وكتب عنه شيئا من شعره، قال السخاوي: وما أنشدنيه في رثاء
 ولده مضمنا:

أحمد إن كان قد عز اللقا ومضت مسرات الحياة بأسرها
 فلا بكينك ما حبيت وإن أمت فلتبكينك أعظمي في قبرها
 وبعد وفاة ابنه عدل عن وظائفه وأعماله وجمع نفسه على العبادة والتأليف
 والإفادة حتى أجاب نداء ربه في شهر رمضان من سنة ٨٧١ هـ. وله نظام
 السيرة النبوية المسمى (منحة اللبيب في سيرة الحبيب) يزيد على ألف بيت
 وأوله:

يقول راجي ذى الجلال الصمد عبيده محمد بن احمد
الحمد لله إله الخلق باعث خير رسله بالحق
ومنه بدار الكتب الملكية نسخة بخط أحمد بن خليل اللبودي فرغ من
كتابتها في ١٩ من المحرم سنة ٨٦٣ وعليها خط المؤلف . وله أرجوزة أخرى
في التاريخ سماها (تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء) وفي كشف الظنون
(فرائد السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك) منظومة لابن النضل محمد بن أحمد
الباعوني المتوفى سنة ٨٧١ من أول الخليفة إلى الأشرف قايتباي) وسماها
السنخاوي (تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء) ثم ذيلها ابن أخيه محمد بن
يوسف إلى زمن الأشرف قايتباي وسماها (الاشارة الوفية الى الخصائص
الأشرفية) . وفيه أيضا (تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء) أرجوزة
لمحمد بن أحمد الباعوني أولها : يقول راجي ربه محمد ... كتبها إلى زمان
المستعين بالله .

(وفي الضوء الامع) في ترجمة محمد بن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني
وهو ابن أخي أبي الفضل المذكور ما يأتي : ورأيت له أرجوزة ذيل بها على
أرجوزة عمه في التاريخ التي انتهى فيها إلى (الأشرف برسباي) وصل فيها
إلى سلطان وقتنا وأطال في متجدداته ومآثره بحيث كانت أشبه شيء بهرجمته هـ
وهذا هو الصواب فما في كشف الظنون من أنه (الأشرف قايتباي تصحيف
فقد كانت مدة الأشرف قايتباي من ٨٧٢ - ٩٠١ هـ) أي بعد وفاة الناظم
أما الملك الأشرف برسباي بن عبد الله سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية
والإقطار الحجازية وهو الثامن من ملوك الجراكسة فقد ولي الأمر من
(سنة ٨٢٥ - سنة ٨٤١) أي قبل وفاة الناظم بثلاثين سنة فلعل الناظم وقف
في النظم عند ذلك الحد لشواغل من الحزن أو نحوه ، وقد يقوى هذا قول
صاحب كشف الظنون في موضع آخر (إلى زمان المستعين بالله) فقد كانت

خلافة المستعين بالله العباسي بمصر من (٨٠٨ - ٨٣٣) وجاء بعد (برسباني) أبو سعيد الملك الظاهر جقمق بن عبد الله وتوفي سنة ٨٥٧ فولى الأمر بعده (الملك الأشرف إينال العلأئي المتوفى سنة ٨٦٥) وربما كانت سيرة الناظم تنهى إلى الملك الأشرف هذا أى قبل وفاة الناظم بنحو ست سنوات فأنى أظن أن الالتباس جاء من ان كلا من السلطان (قايتباى ، برسباى ، إينال) يلقب الملك الأشرف وللناظم كتاب (يتابع الأحران) صنفه بعد موت ولده رحمهما الله تعالى .

(٧) أئمه قاضى الفضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعونى المقدسى ثم الصالحى الدمشقى الشافعى ، ولد فى جمادى الأولى سنة ٨٠٥ ببيت المقدس ؛ ثم انتقل به أبوه وهو طفل فى الرابعة إلى دمشق فنشأ بها ودرس على أسانذتها وتلقى العلم والأدب بغيرها من مدن الشام ثم رحل إلى القاهرة كعبة العلم ومنتدى الأدب والفضل سنة ٨٢٨ وأقبل فيها على الدرس وجد فى تحصيل العلوم حتى ظهر فضله فقلد قضاء مدينة (صفد) وكتابة السرى بها ثم ولى القضاء بطرابلس وحلب ثم بدمشق سنة ٨٤٧ وألقى الدروس المفيدة بعدة مدارس ، وحمدت سيرته فى كل ما عهد إليه فى القيام به فقد كان معروفاً بالفقه والأدب وحسن الإدارة والسياسة مع وجاهته وعزة نفسه وحدة ذكائه وكامل مروءته وجميل بزمته مشهوراً بالصلاح والتقوى ومراقبة مولاه فى السرى والعلن ، وحج غير مرة وله النثر البديع والشعر الفائق وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٨٠ وخلف ذرية طيبة ذكورا وإناثا ، ومن شعره :

إن غلقت أبواب رزق الفتى وعاد صفر الكف والجيب
يضرع إلى مولاه فى فتحها (فعنده مفتح الغيب)
واقترح بهاء الدين محمد بن عمر بن حجبى السالف ذكره والمتوفى سنة

٨٥٠ بالقاهرة) على جمال الدين يوسف الباعوني وعلى شهاب الدين أحمد بن
إبراهيم بن محمد بن محمد بن عمر النابلسي ثم الدمشقي نزيل القاهرة (المولود
في شهر رجب سنة ٨١١ بنا بلس) تضمن قول الشاعر:

فوالله ما أدري أنت كما أرى أم العين مزهو اليها حبيبها؟
فقال الجلال الباعوني:

أراك حبيب القلب تزهو لناظري وإن مرضت نفسي فأنت طبيها
وقال الشهاب النابلسي:

أراك إذا ماتت يوما على الربا تحرك الورقا ويبدو وجيبها
وعندي أن بيت الباعوني أنسب لفظا ومعنى بالبيت المضمن وأشد
ارتباطا به فكانه تمهيد له يسهل الانتقال منه إليه. هذا وفي دار الكتب
بمجموعة تشتمل على جملة تخاميس للبردة منها تخميس أوله:

يا من غدا فاقدا للصبر بالألم ومن بدا وجدته للناس كالعلم ...
ينسب إلى جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الرحمن الباعوني، وأراه
غير جمال الدين يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني المذكور.

(٨) ابنه بهاء الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني الأصل
الدمشقي (وهو الذي ذيل أرجوزة عمه السابق) ولد بصالحية دمشق حوالي
سنة ٥٨٨هـ وأخذ عن والده وعمه البرهان وغيرهما من أعيان العصر، وغلب
عليه الأدب وجمع عدة دواوين، وتوفي في شهر رمضان سنة ٩١٠هـ - وفي
كشف الظنون: كتاب الحظ الموفور في مدح ابن الفرفور) لمحمد بن
الباعوني) اه وأنا أظنه هذا لأن ممدوحه وهو قاضي القضاة شهاب الدين أبو
العباس أحمد بن محمود بن عبد الله بن محمود الشمير بابن الفرفورالدمشقي ولد
في شهر شوال سنة ٨٥٢هـ وتوفي سنة ٩١١هـ) فهو المعاصر لبهاء الدين الباعوني
هذا وأسن منه وكان ابن الفرفور قاضي قضاة الشافعية بدمشق ثم جمع له بينه

وبين قضاء مصر سنة ٩١٠ وكان جامعا بين العلم والسياسة والكرم وجوابا بمدحا، وبمن مدحه علاء الدين على بن مليك الجوى الأديب الشاعر المشهور المتوفى سنة ٩١٧ وابنه ولى الدين قاضى القضاة محمد بن أحمد كان من أعيان بنى الفرفور ولد سنة ٨٩٥ وولى قضاء الشافعية بدمشق بعد وفاة أبيه، ثم ولى قضاء حلب سنة ٩٢٦ وكان آخر قاض تولى قضاء حلب من بنى العرب، ولم يطلب له العمل فى الدولة العلية العثمانية وبقي بين ولاية وعزل حتى توفى سنة ٩٣٧ - وابنه القاضى زين الدين عبيد الرحمن بن محمد بن أحمد كان اماما فاضلا شاعرا بارعا وتوفى سنة ٩٩٢)

٩ - وأخته السيدة أم عبيد الوهاب عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعونية الأدبية المشهورة والشيخة الصالحة البرة التقية ذات العلم والعمل، كانت من نوازل عصرها علما وفضلا وأدبا وتقوى ودينا وورعا وعبقة وصيانة تلمت العلم ببلدها وبمصر حتى نالت من العلوم والآداب حظاً وافراً وأجاز لها أكابر وقتها بالتدريس والافتاء، وقد صنفت عدة مؤلفات أدبية وصوفية رائقة، ومن كلامها: وكان مما أنعم الله به على أنفى بحمده لم أزل أتقاب فى اطوار الإيجاد، فى رفاهية لطائف البر الجوادة، إلى أن خرجت إلى هذا اللام المشحون . بمظاهر تجلياته، الطافح بعجائب قدرته وبدائع ارادته، المشوبة موارده بالأقدار والأكدار، الموضوع بكمال القدرة والحكمة اللابلاء والاختبار، دار عمر لا بقاء لها إلى دار القرار، فربانى اللطف الربانى فى مشهد النعمة والسلامة؛ وغذانى بلبان مداد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة فى بلوغ درجة التيقين، أهلى الحق لقراءة كتابه العزيز، ومن على بحفظه على التمام، ولى من العمر حينئذ ثمانية أعوام، ثم لم أزل فى كتف ملاحظات اللطيف، حتى بلغت درجة التكليف . . . الخ) اه

وتوفيت بدمشق سنة ١٩٢٢ مع انقضاء دولة الجراكسة - وقد ترجم لها في صدر كتاب (خزانة الأدب وغاية الأرب) لأبي بكر بن حجة الجوى المتوفى سنة ٨٣٧ ترجمة موجزة ونسب إليها خطأ البيهقيين الاتيين قال (ولها بيتان في جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق هدمها كثيرا مما شيدته فحول الشعراء من البيوت واذا تأملت في سحر بلاغتهما فكأنما رأيت هاروت وماروت) وهما

بني سلطاننا برقوق جسرا . بأمر والآنام له مطيعة
مجاز في الحقيقة للارايا وأمر بالوقوف على الشريعة
وأقول ليس البيتان لها ولم يكن برقوق سلطانها بل مات قبل ولادتها
بأكثر من قرن بل توفي قبل مولد أبيها فقد ولد وتوفي سنة ٨٨٠، وكانت
سلطنة الملك الظاهر برقوق من (سنة ٧٨٤ - سنة ٨٠١ وكان بناء جسر
الشريعة سنة ٧٨٤ ونهر الشريعة بالقرب من بيت المقدس والمعروف أن
البيهقي لشاعر فحل هو شمس الدين محمد بن المزين الدمشقي الأديب الشاعر
المشهور (محمد بن بركة ولد سنة ٧٣٥ وتوفي سنة ٨١١ وموعدنا بترجمته
وترجمة غيره من أدباء عصر المماليك قريب ان شاء الله)

ومن شعر السيدة عائشة الباعونية في وصف دمشق
نزه الطرف في دمشق ففيها كل ما تشتهي وما تختار
هي في الارض جنة فتأمل كيف تجرى من تحتها الانهار
كم سما في ربوعها كل قصر أشرفت من وجوها الأتار
وتناغيك بينها صادحات خرست عند نطقها الأوتار
كلها روضة وماء زلال وقصور مشيدة وديار
ومن بارع التشبيه قولها :

كأنما الحال تحت القرط في عنق بدالنا من محيا من جل خلقا

نجم بدا لعمود الصبح مستترا
وتما أحفظه ويروقى واحبه لها :

وصيرت بدر التم مذغاب مؤنسى
فحجبه عنى الغمام بذيله فواعجبا حتى الغمام رقيب

ولها ديوان شعر بدار الكتب الملكية - ومن مؤلفاتها (مولد النبي
صلى الله عليه وسلم) أوله : الحمد لله القديم أحده المتعالى حمده لاشريك له في
عظمة الاهيته .. الخ) وقد طبع بدمشق سنة ١٣٠١ ودار الكتب الملكية
سختان منه (٩٨٢ ، ٩٨٣) ولها الدر الغائص في بحر المعجزات والخصائص
وهي قصيدة رائية في المديح النبوى - وكتاب (الفتح الحفى) يشمل
على كلمات لذنية ومعارف سنية ، و (الملاحم الشريفة والآثار المنيفة) يشتمل
على أناشيد صوفية ومعارف ذوقية ، وكتاب الاشارات الحفية في المنازل
العلمية) وهي أرجوزة اختصرت فيها (منازل الساترين) لشيخ الاسلام
عبد الله بن محمد بن اسمعيل الانصارى الهروى الحنبلى الصوفى المتوفى سنة
٨٤١ وهو كتاب تصوف فى أحوال السلوك) - ولها أرجوزة لخصت فيها
كتاب (القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع) لشمس الدين محمد
بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ - ومن أشهر مؤلفاتها (الفتح
المبين فى مدح الامين) قصيدة بديعية فى مديحه صلى الله عليه وسلم أولها :
فى حسن مطلع أقرار بدى سلم أضبحت فى زمرة المشاق كالعلم
وقد شرحتها شرحا لطيفا طبع بها مش (خزانة الأدب) لابن حجة
الحموى ولها شرح على بديعية أخرى أولها :

عن مبتدأ خبر الجراء من أضمن حدث ولا تنس ذكر البيان والعالم
والتزمت فى هذا الشرح عند ذكر كل محسن من المحسنات البديعية أن

تذكر ما قاله في بديعياتهم كل من (١) ابن جابر الأندلسي (شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن جابر توفي سنة ٧٨٠) وقد شرح هذه البديعية رفيق ابن جابر وهو شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الأندلسي المتوفى سنة ٧٧٩) (ب) وصفي الدين الحلبي المشهور، (ج) وابن حجة الحموي وهو الذي شرحها شرحا مفيدا حافلا بكتابته (خزانة الأدب (د) عز الدين الموصلی (علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر العلامة الأديب الشاعر الرقيق توفي سنة ٧٨٩)

وقد انتهت من شرحها هذا سنة ٩٢١ ودار الكتبب نسخة منه مخطوطة رقم ٥٨٣ وبآخرها ما نصه : تمت المنظومة للشريفة المباركة ، وكان الفراغ من كتابتها مع ما أضيف إليها من الكلام على ما اشتملت عليه من الأنواع في النصف من شهر ربيع الآخر سنة ٩٢١ أحسن الله تمامها بمنه وكرمه على يد المفتوح عليها بنظمها وتأليف هذا الشرح الوافي بمضمون أنواعها أفقر الفقراء الى رحمة الله المولى عائشة بنت يوسف بن ناصر الباعوني الشافعي (١٠ - وابنها السيد تاج الدين عبد الوهاب بن أحمد كان عالما فاضلا فقيها صالحا توفي بصالحية دمشق سنة ٩٢٥ عن نحو ثلاثين سنة رحمه الله.

أحمد يوسف نجاشي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

(١) وقد شرح الموصلی بديعته شرحا سماه (التوصل بالبدیع الى التوصل بالشفیع) فرغ من تأليفه في منتصف جمادى الاولى سنة ٧٨٧ ومنه نسخة بدار الكتب ضمن مجموعة مخطوطة بخط العلامة الأديب محمد الدمشقي الاصل المعروف بالهدر البشتكي الشاعر الأديب المعروف أتم كتابته في منتصف شهر المحرم من سنة ٧٩٣ وعليها خط شيخ الاسلام الحافظ أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني العلامة الأديب الشاعر المشهور المتوفى سنة ٨٥٢ وتوفى بدر الدين البشتكي سنة ٨٣٠